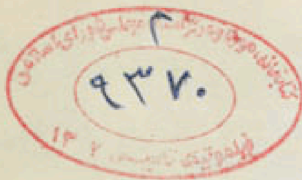
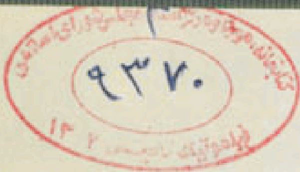

۹۳۷۰


٩٣٧٠
١٣٤٢



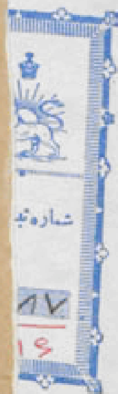
فان تعالى

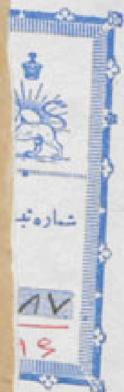
اقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور
منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم
من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه
فيه ظلما وكل ما سواه من جن وانس وشيطان
وملك وسماء وارض وحيوان ونبات وجوهر وعرض
ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد
العدم اختراعا وانشاه بعد ان لم يكن شيئا اذ كان
في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فاحدث
الخلق بعده اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته
ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته
وانه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب
ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل

بالإحسان والنعمة [illegible] الامتنان اذ كان قادرا على أن
يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم بضروب الآلام
والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن
قبيحا ولا ظلما وانه يثيب عباده على الطاعات بحكم
الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا
يجب عليه فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب عليه لاحد
حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق بايجابه على
لسان الانبياء لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل
واظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا امره ونهيه
ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاءوا به

الكلمة الثانية

وهي شهادة الرسول
صلى الله عليه وسلم وانه بعث النبي الامي القرشي
محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته [illegible] العرب
والعجم والجن والانس فنسخ بشرعه الشرائع الا ما قرره
وفضله على سائر الانبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال
الايمان بشهادة التوحيد وهو قول لا اله الا الله ما لم يقترن
بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا
والآخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يوقن بما اخبر عنه
بعد الموت واوله سؤال منكر ونكير وهما شخصان
مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح
وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان من
ربك وما دينك ومن نبيك وهما فتانا القبر
وسؤالهما اول فتنة بعد الموت وان يؤمن [illegible] القبر





٢ وانه حق وحكمة ان يعيد على الجسم والروح على ما
بينا ونؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفه
في العظم انه مثل طباق السموات والارض توزن فيه
الاعمال بقدرة الله والصحف يومئذ مثاقيل الذر والخردل
تحقيقا لتمام العدل وتطرح صحايف الحسنات في صورة
حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها
عند الله تعالى بفضل الله وتطرح صحايف السيئات في
كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله ونؤمن
بالصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم احد من
السيف وادق من الشعر تزل عليه اقدام الكافرين بحكم
الله فتهوي بهم الى النار وتثبت عليه اقدام المؤمنين فيتفاوتون
الى دار القرار ونؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه

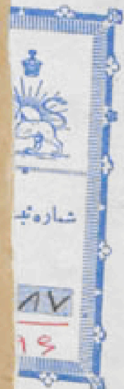
وسلم يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد
جواز الصراط من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا
عرضه مسيرة شهر اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل
حوله اباريق عدد نجوم السماء فيه ميزابان يصبان من
الكوثر ونؤمن بالحساب وتفاوت الخلق فيه الى
مناقش في الحساب والى مسامح فيه والى من يدخل الجنة
بغير حساب وهم المقربون فيسأل من شاء من الانبياء
عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين
ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمين عن الاعمال
ونؤمن باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى
لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى ونؤمن بشفاعة
الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم ساير المؤمنين كل على

لحسب جاهه ومنزلته ومن بقي من المؤمنين ولم يكن
له شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وأن يعتقد فضل
الصحابة وترتيبهم وأن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان
الله عليهم وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما
أثنى الله تعالى ورسوله عليهم أجمعين فكل ذلك مما
وردت به الاخبار وشهدت به الاثار فمن اعتقد جميع
ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق
رهط الضلالة وحزب البدعة فنسأل الله تعالى كمال اليقين
والثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين انه أرحم الراحمين

الفصل الثاني في وجه التدريج الى الارشاد

وترتيب درجات الاعتقاد

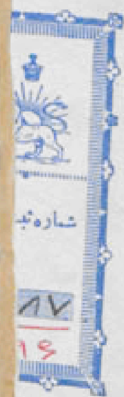
ما ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم الى الصبي
في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه
في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد
والايقان والتصديق به وذلك فيما يحصل في الصبي بغير
برهان فمن فضل الله تعالى على قلب الانسان شرحه في
أول نشوه للايمان من غير حاجة الى حجة وبرهان وكيف
ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مباديها التلقين
المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد
التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى
أنه يقبل الازالة بنقيضه لو ألقي اليه فلا من تقويته
واثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس



الطريق في تقويته واثباته ان تعلم صنعة الجدل والكلام
بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه
ويشتغل بوظايف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد
رسوخا بما يقرع سمعه من ادلة القرآن وحججه وبما يرد عليه
من شواهد الاحاديث وفوايدها وبما يسطع عليه من
انوار العبادات ووظايفها وبما يسري اليه من مشاهدة
الصالحين ومجالستهم وسيماهم وهيآتهم في الخضوع لله والخوف
منه والاستكانة له فيكون اول التلقين كالقا
بذر في الصدر وتكون هذه الاسباب كالسقي والتربية
له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة
راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي ان
يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فان ما

يشوشه الجدل اكثر مما يمهده وما يفسده اكثر
مما يصلحه بل تقويته بالجدل يضاهي ضرب الشجرة بالمدقة
من الحديد رجاء تقويتها بان تكثر اجزاوها وربما
يفتتها ذلك ويفسدها وهو الاغلب والمشاهدة
تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس
عقيدة اهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة
المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات
كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة
المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل
في الهوى تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا الا من
سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف
نفس الاعتقاد تقليدا ولا فرق بين التقليد في تعلم الدليل

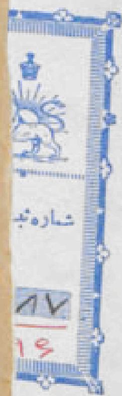
وتعلم المجادلة فلقن الدليل شي والاستدلال بالنظر
شي آخر يبعد عنه ثمرة الصفاء اذ وقع شبهة على هذه العقيدة
ان اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في
الآخرة باعتقاد الحق اذ لم يكلف الشرع اجلاف
العرب اكثر من التصديق الجزم بظاهر هذه العقايد فاما
البحث والتفتيش وتكلف نظم الادلة فلم يكلفوه
اصلا وان اراد ان يكون من سالكي طريق الآخرة وساعده
التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس
عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتح له ابواب
الهداية تكشف عن حقايق هذه العقيدة بنور الهي
تقذف في قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده
تعالى اذ قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا



وهو الجوهر النفيس الذي هو غاية الصديقين والمقربين
واليه الاشارة بالسر الذي وقر في قلب ابي بكر الصديق
رضي الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر
بل تلك الاسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة
ودرجات الباطن في النظافة والطهارة عما سوى الله
وفي الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق
في اسرار الطب والفقه وساير العلوم اذ يختلف ذلك
باختلاف الاجتهاد واختلاف الفطرة في الذكاء والفطنة
وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه

مسئلة فان قلت فعلم الجدل والكلام
مذموم كعلم النجوم او هو مباح او مندوب اليه
فاعلم ان للناس في هذا غلوا واسرافا في اطراف فمن قايل

انه بدعة وحرام وان العبد ان يلقى الله بكل ذنب
سوى الشرك خير له من ان يلقاه بالكلام ومن قايل
انه واجب وفرض كفاية او على الاعيان وانه افضل الاعمال
واعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال
دين الله والى التحريم ذهب الشافعي ومالك واحمد بن حنبل
وسفيان وجميع اهل الحديث من السلف قال ابن عبد الاعلى
سمعت الشافعي يوم ناظر حفص الفرد وكان من متكلمي
المعتزله يقول لان يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب
ما خلا الشرك خير من ان يلقاه بشي من الكلام ولقد
سمعت من حفص كلاما لا اقدر ان احكيه وقال ايضا
قد اطلعت من اهل الكلام على شي ما ظننته قط ولان يبتلي
العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من



ان ينظر في الكلام وحكى الكرابيسي ان الشافعي
رحمه الله سئل عن شي من الكلام فغضب وقال سل
من هذا يعني حفص الفرد واصحابه اخزاهم الله فلما مرض
الشافعي رحمه الله دخل عليه حفص الفرد وقال من
انا قال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب
مما انت فيه وقال ايضا لو علم الناس ما في الكلام من الاهواء
لفروا منه فرارهم من الاسد وقال ايضا اذا سمعت
الرجل يقول الاسم هو المسمى واشهد بانه من اهل الكلام ولا
دين له وقال الزعفراني قال الشافعي رحمه الله
حكمي في اصحاب الكلام ان يضربوا بالجريد ويطاف
بهم في العشاير والقبايل ويقال هذا جزاء من ترك
الكتاب والسنة واخذ في الكلام وقال احمد بن حنبل

رحمه الله لا يفلح صاحب كلام ابدا ولا يكاد ترى احدا
نظر في الكلام الا وفي قلبه دغل وبالغ فيه حتى هجر الحارث
المحاسبي رحمه الله مع زهده وورعه بسبب تصنيفه
كتابا في الرد على المبتدعة وقال ويحك الست
تحكي بدعتهم اولا ثم ترد عليهم الست تحمل الناس
بتصنيفك على مطالعة البدعة والفكر في تلك
الشبهات فيدعوهم ذلك الى الراي والبحث وقال
احمد علماء الكلام زنادقه ٥ وقال مالك ارايت ان جاءه
من هو اجدل منه ابدع دينه في كل يوم لدين جديد يعني
ان اقوال المجادلين تتفاوت وقال مالك لا تجوز شهادة
اهل البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تاويله انه
اراد باهل الاهواء اهل الكلام على اي مذهب كانوا

وقال ابو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق
وقال الحسن لا تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا
تسمعوا منهم وقد اتفق اهل الحديث من السلف على
هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا
ما سكت عنه الصحابة مع انهم اعرف بالحقايق وافصح
بترتيب الالفاظ من غيرهم الا لعلمهم بما يتولد منه من الشر
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون
هلك المتنطعون اي المتعمقون في البحث والاستقصاء
واحتجوا ايضا بان ذلك لو كان من الدين لكان ذلك اهم
ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم طريقه
ويثني على اربابه فقد علمهم الاستنجا وندبهم الى حفظ
الفرايض واثنى عليهم ونهاهم عن الكلام في القدر وقال

وقال امسكوا اي على هذا اسس الصحابة فالزيادة
على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة
ونحن الاتباع والتلامذة واما الفرقة الاخرى احتجوا بان
المحذور من الكلام ان كان معه لفظ العرض والجوهر
وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة
فالامر فيه قريب اذ ما من علم الا وقد احدث فيه اصطلاحات
لاجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم
عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد
الوضع لما كانوا يفهمونه واحداث عبارة للدلالة بها
عن مقصود صحيح كاحداث انية على هيئة جديدة
لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى
فنحن لا نعني به الا معرفة الدليل على حدث العالم ووحدانية

الخالق كما جاء به الشرع فمن اين يحرم معرفة الله
بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة
والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب
الاحتراز عنه كما ان الكبر والرياء وطلب الرياسة فيما
يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب
الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لاجل ادائه
اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث
عنها محظورا وقد قال الله تعالى قل هاتوا برهانكم
وقال تعالى ليهلك من هلك عن بينة وقال تعالى
هل عندكم من سلطان اي حجة وبرهان وقال
تعالى فلله الحجة البالغة وقال تعالى الم تر الى الذي حاج
ابرهيم في ربه الى قوله تعالى فبهت الذي كفر اذ

ذكر احتجاج ابرهيم ومجادلته وافحامه خصمه في
معرض الثنا عليه وقال تعالى وتلك حجتنا اتيناها
ابرهيم على قومه وقال تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت
جدالنا وقال في قصة فرعون وما رب العالمين الى قوله
تعالى اولو جيتك بشي مبين ۵ وعلى الجملة فالقران من
اوله الى اخره محاجة مع الكفار فعمدة ادلة المتكلمين
في التوحيد قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا
وفي البعث قوله تعالى قل يحييها الذي انشاها اول مرة
الى غير ذلك من الادلة ولم تزل الرسل يحاجون المنكرين
ويجادلونهم قال تعالى وجادلهم بالتي هي احسن
والصحابة ايضا كانوا يجادلون ولكن عند الحاجة
وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم واول من سن

دعوة المبتدعة بالمجادلة الى الحق علي كرم
الله وجهه اذ بعث ابن عباس رضي الله عنه الى الخوارج
فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل
ولم يسب ولم يغنم قال ذلك في قتال الكفار ارايتم
لو سبيت عايشة في يوم الجمل فوقعت في سهم احدكم
اكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي
امكم في نص الكتاب فقالوا لا ورجع منهم الى
الطاعة بمجادلته الفان وروي ان الحسن ناظر
قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود يزيد بن عميرة
في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت انا
في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه

زلة منك وهل الايمان الا ان تومن بالله وملائكته
وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة
والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر
لنا لعلمنا اننا من اهل الجنة فمن اجل ذلك نقول
انا مومنون ولا نقول انا من اهل الجنة فقال ابن مسعود
صدقت والله انها مني زلة ينبغي ان يقال كان خوضهم
فيه قليلا لا كثيرا او قصيرا لا طويلا او عند الحاجة
لا بطريق التصنيف والتدريس فاتخاذه صناعة فيقال
اما قلة خوضهم كان لقلة الحاجة اذ لم تكن
البدعة تظهر في ذلك الزمان فاما القصر فقد كان
الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق فلو طال
اشكال الخصم والحاجة لطال لا محالة الزامهم وما

كانوا يقدرون قدر الحاجة ميزان ولا مكيال
بعد الشروع فيها واما عدم تصديهم للتدريس
والتصنيف فهكذا كان في الفقه والتفسير والحديث
ايضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة
التي لا تتفق الا على الندور اما لادخار اليوم وقوعها
وان كانت نادرة او تشحيذ الخاطر فنحن ايضا نرتب
طرق المحاجة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة
وهيجان مبتدع او لتشحيذ الخاطر او لادخار الحجة
حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال
كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا
ما يمكن ان يذكر للفريقين فان قلت فما المختار
فيه عندك فاعلم ان الحق فيه ان اطلاق القول

بدّ منه في كل احوال او يحرم في كل حال خطا بل
لابد فيه من تفصيل فاعلم اولاً ان الشيء قد يحرم
لذاته كالخمر والميتة واعني بقولي لذاته ان علة تحريمه
وصف في ذاته وهو الاسكار والموت
وهذا اذا سُئلنا عنه اطلقنا القول بانه حرام ولا
يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع
الخمر لاساغة من غص بلقمة ولم يجد ما يسيغها به
سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع اخيك
في وقت الخيار والبيع في وقت النداء وكاكل الطين
فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله
وكثيره فانه يطلق القول عليه بانه حرام كالسم
الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة

فيطلق عليه القول بالاباحة كالعسل فان كثيره
يضر بالمحرور وكاكل الطين وكان اطلاق التحريم
والتحليل على الطين والعسل التفاتا الى اغلب الاحوال
فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالاولى والابعد
عن الالتباس ان نفصل فنعود الى علم الكلام ونقول
فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع
حلال او مندوب او واجب كما يقتضيه الحال وهو
باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام
اما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها
عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء او
رجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الاشخاص
فهذا ضرره في الاعتقاد وله ضرر في تأكيد اعتقاد

المبتدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم
ويشتد حرصهم على الاصرار اليه ولكن هذا الضرر
بواسطة التعصب الذى يثور من الجدل والتعصب
فانه لو اجتمع عليه الاولون والاخرون لم يقدروا
على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض
خصومه المجادلين وفرقة المخالفين تستولي على قلبه وتمنعه
من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد ان يكشف
الله لك الغطا فيعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك
كره ذلك خيفة من ان يفرح به خصمه وهذا
هو الدا العضال الذى استطار في البلاد والعباد
وهو نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره
فاما منفعته فقد يظن ان فايدته كشف الحقايق ومعرفتها

على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء
بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه
اكثر من الكشف والتعريف وهذا اذا سمعته
من محدث او حشوي ربما خطر ببالك ان الناس
اعدا ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم
قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى
منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق
في علوم اخر تناسب نوع الكلام وتحقق ان الطريق
الى حقايق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري
لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح
لبعض الامور ولكن على الندور في امور جلية تكاد
تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شي واحد

وهو جزء من العقيدة التي ترجمناها على العوام
وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل
وأن العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وإن
كان فاسداً ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه
والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها إذ
ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم
وأجمع السلف عليها والعلماء متعبدون بحفظ ذلك على
العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ
أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب وإذا وقعت الإحاطة
بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق
في استعمال الدواء الخطر إذ لا يضعه إلا في موضعه
وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة وتفصيله

أن العوام المشغولين بالحرف والصناعات يجب أن
يتركوا على سلامة عقائدهم التي اعتقدوها مهما
يلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فإن تعليمهم
الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكاً
ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك
بالإصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى
إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع
للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن
والحديث الممزوج بفن الوعظ والتحذير فإن ذلك
أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامي
إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة تعلمها المتكلم
ليستدرج الناس إلى اعتقاده فإن عجز عن الجواب قدر أن

المجادلين من مذهبه أيضا يقدرون على دفعه بالجدل
مع هذا ومع الأول جرى الأمر وكذا مع من وقع له
شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة
القريبة المقبولة البعيدة عن تعميق الكلام واستقصاء
الجدل وإنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد
البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله
فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الأنس
بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات
العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه إلا دواء الجدل
فجاز أن يلقى إليه وهذا في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف
فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي
ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة

فإن وقعت ذكرت بقدر الحاجة فإن كانت البدعة
شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا
بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة
القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجا دلات
البدعة إن وقعت إليهم وهذا مقدار مختصر
وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فإن كان
فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثار
في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر
الداء فلا بأس أن يترقى منه إلى القدر الذي ذكرناه
في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين
ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد
إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فإن أقنعه

ذلك كف عنه وإن لم ينفعه ذلك فقد صارت
العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف
به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله فيه الى ان
ينكشف له الحق بتنبيه من الله تعالى او يستمر على الشك
والشبهة الى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب
وجنسه من المصنفات هو الذي يرجا نفعه فاما الخارج منه
فقسمان احدهما بحث عن غير قواعد العقايد كالبحث عن
الاعتمادات والاكوان وعن الادراكات والخوض في الرؤية
هل لها ضد يسمى المنع او العمى وان كان فذلك واحد هو
منع عن جميع ما لا يرى او يثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع
بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضللة **والقسم**
الثاني زيادة تقرير لتلك الادلة في غير تلك القواعد

وزيادة اسئولة واجوبة وذلك ايضا استقصا لا يزيد
الا ضلالا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام
يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قايل البحث عن
حكم الادراكات والاعتمادات فيه فايدة تشحيذ الخواطر
والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا باس بتشحيذه
كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين وذلك
هوس فان الخاطر يتشحذ بساير علوم الشرع ولا يخاف منها
مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من
الكلام والحال التي يذم والحال التي يحمد فيها والشخص
الذي ينتفع به والذي لا ينتفع **فان قلت** مهما
اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدع والآن قد ثارت البدع
وعم البلوى وارهقت الحاجة فلا بد وان يصير القيام بهذا

العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الاموال وسائر
الحقوق والقضاء والولاية وغيرها وما لم يشتغل العلماء ب
ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يتم ولو ترك
بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه
المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي ان يكون التدريس فيه ايضا من
فروض الكفايات بخلاف زمان الصحابة فان الحاجة لم تكن
ماسة اليه فاعلم ان الحق انه لا بد في كل بلد من قائم بهذا
العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة
وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه
على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء
والفقه مثل الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا
فيه من انواع الضرر فالعالم ينبغي ان يخص بتعليم هذا

العلم من فيه ثلث خصال احداها التجرد للعلم والحرص عليه ۝
فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وازالة الشكوك
اذا عرضت والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد
لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر
الكلام ولا يرجى فيه نفعه والثالث ان يكون في طبعه
الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة
عليه فان الفاسق بادنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك
يحل عنه الحجر ويرفع به السد بينه وبين الملاذ فلا يحرص
على ازالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من اعباء التكليف
فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم اكثر مما يصلحه واذا
عرفت هذه الانقسامات اتضح لك ان الحجة المحمودة في
الكلام ما هي من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة

في القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل في القسيمات
والتدقيقات التي لا يفهمها اكثر الناس واذا فهموها
اعتقدوا انها شعوذة وصنعة تعلمها صاحبها للتلبيس فلا
قابله مثله في الصنعة فاومة وعرفت ان الشافعي رحمه الله
وكافة السلف انما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه
من الضرر الذي نبهنا عليه وان ما نقل عن ابن عباس
من مناظرة الخوارج وما نقل عن علي من المناظرة في القدر وغيره
كان من الكلام الجلي الظاهر في محل الحاجة وذلك محمود
في كل حال نعم قد يختلف الاعصار في كثرة الحاجة
وقلتها فلا يبعد ان يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة
التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فاما
ازالة الشبه وكشف الحقائق ومعرفة الاشياء على ما هي عليه ۝

ودرك الاسرار التي يترجمها ظاهر الفاظ هذه العقيدة
فلا مفتاح له الا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية
على الله تعالى وملازمة الفكرة الصافية عن شوائب
المجادلات وهي رحمة من الله يفيض على من يتعرض لنفحاتها
بقدر الرزق وبحسب التعرض وبقدر قبول المحل وطهارة
القلب وذلك البحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ
ساحله مسألة فان قيل هذا الكلام
مشير الى ان هذه العلوم لها ظواهر واسرار وبعضها
جلي يبدو اولا وبعضها خفي يتضح بالمجاهدة والرياضة
والطلب الحثيث والفكر الصافي والسر الخالي عن كل شيء من
اشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا
للشرع اذ ليس للشرع ظاهر وباطن وسر وعلن بل الظاهر

والباطن والسر والعلن والحد واعلم ان اقسام هذه
العلوم الخفية وجليه لا ينكرها ذو بصيرة وانما
ينكرها القاصر الذي تلقف في اول الصبا شيا وجمد
عليه فلم يكن له ترقي الى شاو العلى ومقامات العلما
والاوليا وذلك ظاهر من ادلة الشرع قال صلى الله عليه وسلم
ان للقران ظاهرا وباطنا وحدا ومطلعا وقال علي رضي الله عنه
واشار الى صدره ان ها هنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال
صلى الله عليه وسلم ما حدث احد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم
الا كان فتنة عليهم وقال تعالى وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون بالله الحديث الى اخره كما اوردناه
في كتاب العلم وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعري ان لم يكن ذلك

سرا منع من افشائه لقصور الافهام عن دركه او
لمعنى اخر فلم لم يذكره لهم فلا شك انهم كانوا يصدقونه
لو ذكره لهم وقال ابن عباس في قوله تعالى الذي خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن
لو ذكرت تفسيرها لرجمتموني ۵ وفي لفظ اخر لقلتم
كافر ۵ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما فضلكم
ابو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر
في صدره ولا شك في ان ذلك السر كان متعلقا
بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين
لم يكن خافيا بظواهره على غيره ۵ وقال سهل التستري
رحمه الله للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل
الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله وعلم

هوبيته وبين الله لا يظهره لاحد وقال بعض العارفين
افشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية
سر لو اظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف
بطل العلم وللعلماء بالله سر لو اظهروه لبطلت
الاحكام وهذا القايل ان لم يرد بذلك بطلان
النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره
ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض وان الكامل من
لا يطفي نور معرفته نور ورعه ومدرك الورع النبوة

مسالة فان قلت فهذه الايات والاخبار
يتطرق اليها تاويلات فبين كيفية اختلاف الظاهر
والباطن فان الباطن اذا كان مناقضا للظاهر ففيه
ابطال للشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف

الشريعة وهو كفر لان الشريعة عبارة عن الظاهر
والحقيقة ثم الباطن ان كان لا يناقضه ولا يخالفه
فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع
سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا
فاعلم ان هذا السؤال يحرك قطبا عظيما ويجر
الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة
وهو غرض هذه الكتب فان العقايد التي ذكرناها
من اعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق
بعقد القلب عليها لا بان نتوصل الى ان ينكشف لنا
حقايقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا
انه من الاعمال لما اوردناه في هذا الكتاب ولولا
انه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما اوردناه

في الشطر الأول من الكتاب وأما الكشف الحقيقي
فهو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام
الى حركة خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد
من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف
الشريعة او الباطن يخالف الظاهر فهو الى الكفر
اقرب منه الى الايمان بل الاسرار التي يختص المقربون
بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها
ويمتنعون عن افشائها اليهم ترجع الى خمسة اقسام
الأول ان يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل اكثر
الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم
ان لا يفشوه الى غير اهله اذ يصير ذلك فتنة عليهم
حيث تقصر افهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح

وكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيانه
من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الأفهام عن
دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا
تظن ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف
نفسه فكيف يعرف ربه ولا يبعد ان يكون ذلك
مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وان لم يكونوا
انبيا ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما
سكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
في صفات الله سبحانه من الخفايا ما تقصر افهام
الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة

وغيرهما حتى فهمهما الخلق بنوع مناسبة توهموها
الى علمهم وقدرتهم اذ كان لهم من الاوصاف
ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة
ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض
المناسبة شيا لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت
للصبي او العنين لم يفهمه الا بمناسبة الى لذة المطعوم
الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق
والمخالفة بين علم الله وقدرته وعلم الخلق
وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل
وبالجملة فلا يدرك الانسان الا نفسه وصفات
نفسه مما هو حاضر له في الحال او مما كان له من
قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد

يصدق بان بينهما تفاوتا في الشرف والكمال
فليس في قوة البشر الا ان يثبت لله ما هو ثابت
لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها
من الصفات مع التصديق بان ذلك اكمل واشرف
فيكون معظم تحويمه على صفات نفسه لا على
ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك وليس المعنى به اني اعجز عن التعبير عما
ادركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك
كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله
بالحقيقة سوى الله وقال الصديق رضي الله عنه
الحمد لله الذي لم يجعل سبيلا الى معرفته الا بالعجز

عن معرفته ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع
الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن
دركه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات
الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله في قوله صلى الله
عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها
لاحترقت سبحات وجهه كل من ادرك بصره

القسم الثاني من الخفيات التي تمتنع الانبيا
والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم في نفسه
لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر باكثر المستمعين
ولا يضر الانبيا والصديقين وسر القدر الذي منع اهل
العلم من افشائه من هذا القسم ولا يبعد ان يكون
ذكر بعض الحقايق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس

بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل
وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصي
والشر بقضا الله وقدره وارادته ومشيته حق في
نفسه وقد اضر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك
عندهم دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا
بالقبيح والظلم وقد الحد ابن الراوندي وطايفة
من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر لو افشي
لاوهم عند اكثر الخلق عجزا اذ تقصر افهامهم عن
درك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال
قايل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وانها بعد الف
سنة او اكثر او اقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر
لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها

بعيده فيطول الامر واذا استبطات النفوس وقت
العقاب قل اكتراثها او لعلها كانت قريبه في علم الله
تعالى ولو ذكرت لعظم الخوف واعرض الناس عن الاعمال
وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم

القسم الثالث ان يكون الشي بحيث لو ذكر
صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه
على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه في قلب
المستمع اغلب وله مصلحه في ان يعظم وقع ذلك
الامر في قلبه كما لو قال قايل رايت فلانا يقلد الدرر في
اعناق الخنازير وكنايه عن افشا العلم وبث الحكمه الى غير
اهلها والمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا
نظر وعلم ان ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان

في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت
الناس بذلك ومن هذا قول الشاعر ؎
رجلان خياط واخر حايك متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر ويخيط صاحبه ثياب المقبل
فانه عبر عن سبب سماوي في الاقبال والادبار برجلين
صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة
التي تتضمن عين المعنى او مثله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
ان المسجد لينزوي من النخامة كما تنزوي الجلدة وانت ترى
ان ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد
ومعناه كونه معظما ورمي النخامة فيه تحقير فيضاد
معنى المسجديه مضادة النار لاتصال اجزا الجلدة وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم اما يخشى الذي يرفع راسه قبل

الامام ان يحول الله راسه راس حمار وذلك من حيث الصورة
قط لم يكن ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن
اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بالخاصية
وهي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد
صار راسه راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود
دون الشكل الذي هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق
ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان
وانما يعرف ان هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل
عقلي او شرعي اما العقلي بان يكون حمله على الظاهر
غير ممكن كقوله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن اذا فتشنا على صدور المومنين
فلم نجد فيها اصابع فعلم انه كناية عن القدرة التي هي سر

الاصبع وروحها الخفي وكنى بالاصبع عن القدرة لان ذلك
اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل كنايته
عن الاقتدار بقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول
له كن فيكون فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان
كان خطابا مع الشيء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم
لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو
مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية
اوقع في النفوس في تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها واما
المدرك بالشرع فهو ان يكون اجراوه على الظاهر
ممكنا ولكن يروى انه اريد به غير الظاهر كما
ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها الاية وان معنى الماء هو القران ومعنى

الأودية القلوب وإن بعضها احتمل شيئا كثيرا وبعضها
شيئا قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر فإنه وإن
ظهر وطفا على رأس الماء فإنه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس
تمكث وفي هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد في
الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة إذ لم ينقل
ذلك بطريق الرواية وإجراؤه على الظاهر غير محال
فيجب إجراؤه على الظاهر **القسم الرابع** أن يدرك الإنسان
الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير
حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر
والثاني كاللب والأول كالظاهر والآخر كالباطن وذلك
كما يتمثل الإنسان في عينه شخصا في الظلمة أو على البعد
فيحصل له نوع علم فإذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام

أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول
بل هو استكمال له فكذلك في العلم والتصديق
إذ قد يصدق الإنسان بوجود العشق والمرض والموت
قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه
قبل الوقوع بل للإنسان في الشهوة والعشق وسائر الأحوال
ثلاثة أحوال متفاوتة وإدراكات متباينة الأول تصديقه
بوجوده قبل وقوعه والآخر عند وقوعه والآخر
بعد تصرمه فإن تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقيق
به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل
فيكون ذلك كالباطن بالإضافة إلى ما قبل ذلك ففرق
بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففي هذه الأقسام
الأربعة تتفاوت الخلق وليس في شيء منها باطن يناقض الظاهر

بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والبيت لامره

القسم الخامس أن يعبر بلسان المقال عن لسان

الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا

والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول

القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال سل من يدقني

فلم يتركني ورائي الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان الحال

بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض

ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين والبليد يفتقر

في فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب

وخطابا هو صوت وحرف تسمعه الارض فتجيب بصوت

وحرف وتقول اتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان

الحال وانه انباء عن كونها مسخرة بالضرورة ومضطرة

الى التسخير ومن هذا قوله تعالى وان من شيء الا يسبح

بحمده فان البليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجماد حياة وعقلا

ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق

تسبيحه والبصير يعلم انه ما اريد به نطق اللسان بل

كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية

الله تعالى كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد

وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها

بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى انها تقول اشهد

ولكن بالذات والحال فكذا ما من شيء الا وهو محتاج

في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم اوصافه ويردده

في اطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك

شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال

تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اما القاصرون فلا
يفقهون اصلا واما المقربون والعلما الراسخون فلا
يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شي شهادات شتى
على تقديس الله وتسبيحه وبقدر كل واحد بقدر رزقه
وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا
الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصاير في علمه
ويظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفي هذا المقام لارباب
المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف في رفع الظواهر انتهى
الى تغيير جميع الظواهر او اكثرها حتى حملوا قوله تعالى
تكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم وقوله تعالى وقالوا
لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق
كل شي وكذلك المخاطبات التي تجري من منكر

ونكير وفي الميزان والحساب ومناظرات اهل
النار واهل الجنة في قولهم ان افيضوا علينا من الما زعموا
ان كل ذلك بلسان الحال وغلا اخرون في حسم الباب
منهم احمد بن حنبل حتى منع تاويل قوله كن فيكون
وزعموا ان ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى
في كل لحظة بعدد كل مكون حتى سمعت بعض اصحابه
انه حسم باب التاويل الا لثلاثة الفاظ قوله صلى الله عليه وسلم
الحجر الاسود يمين الله في الارض وقوله قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن وقوله اني لاجد نفس الرحمن من جانب اليمن
ومال الى حسم الباب ارباب الظواهر والظن باحمد بن حنبل انه
علم ان الاستوا ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو
الانتقال ولكنه منع من التاويل حسما للباب ورعايه

مصالح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الضبط
عن الضبط وجاوز الاقتصاد لا ينضبط ولا باس بهذا الزجر
ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون امروها
كما جاءت حتى قال مالك لما سئل عن الاستوا الاستوا
معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسوال
عنه بدعة وذهبت طايفة الى الاقتصاد ففتحوا باب
التاويل في كل ما يتعلق بصفات الله تعالى وتركوا ما
يتعلق بالاخرة على ظواهره ومنعوا التاويل وهم الاشعرية
وزاد المعتزلة عليهم حتى اولوا من صفات الله تعالى
تعلق الرؤية واولوا كونه سميعا بصيرا واولوا المعراج
وزعموا انه لم يكن بالجسد واولوا عذاب القبر والميزان
والصراط وجملة من احكام الاخرة ولكن اقروا بحشر

الاجساد وبالجنة واشتمالها على الماكولات والمشروبات
والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها
على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن
ترقيهم الى هذا الحد ازاد الفلاسفة فاولوا كل ما ورد في
الاخرة وردوه الى الام عقلية روحانية ولذات عقلية
وانكروا حشر الاجساد وقالوا ببقا النفوس وانها
تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك
بالحس وهولاي هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا
الانحلال وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا
الموفقون الذين يدركون الامور بنور الهي لا بالسماع
ثم اذا انكشفت لهم اسرار الامور على ما هي عليه نظروا
الى السمع والالفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين

فنوروه وما خالفه باولوه باما من يأخذ معرفة
هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيه قدم
ولا يتعين له موقف والأليق بالمقتصر على السمع
المجرد مقام احمد بن حنبل رحمه الله والان فكشف
الغطاء عن حد الاقتصاد في هذه الأمور داخل
في علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض
بيان موافقة الظاهر والباطن ومخالفته له وقد
انكشف بهذه الأقسام الخمسة وإذ رأينا أن نقتصر
بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها
وانهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الأولى إذا كان
خوف تشويش بشيوع البدعة فترقى في الدرجة
الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الأدلة مختصرة من غير

تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر
فيها على ما حررناه لاهل القدس وسميناه الرسالة
القدسية وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من الكتاب بلغ

الفصل الثالث من الكتاب في لوامع الأدلة للعقيدة التي ترجمناها فنقول

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أتوكل

الحمد لله الذي ميز عصابة أهل السنة بأنوار اليقين
وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم
زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد
المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر لهم
اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات
العقول بالحبل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج

المبين فجمعوا في القبول بين نتائج العقول وقضايا
الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به
من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ومحصول
إن لم يتحقق ما يدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب
والأصول وعرفوا أن كلمتي الشهادة على إيجازها تتضمن
إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات
صدق الرسول فعلموا أن بناء الإيمان على عدة أركان
وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول

الركن الأول في معرفة ذات الله سبحانه
ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله سبحانه
وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض
وأنه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه

مرئي وأنه واحد **الركن الثاني** في صفاته عز
وجل وتشتمل على عشرة أصول وهي العلم بكونه
حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما
منزها عن الحوادث وأنه قديم العلم والكلام والإرادة

الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة
أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها
مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله وأنه متفضل
بالخلق وأن له تكليف ما لا يطاق وله إيلام البريء
ولا يجب عليه رعاية الأصلح وأنه لا واجب إلا بالشرع
وأن بعثة الأنبياء جائزة وأن نبوة نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات **الركن الرابع**
في السمعيات وهو إثبات الحشر والنشر وعذاب القبر

وسؤال منكر ونكير ٥ والميزان والصراط ٥ وخلق الجنة
والنار ٥ وأحكام الإمامة **فالركن الأول**
من أركان الإيمان معرفة ذات الله سبحانه وتعالى
ومداره على عشرة أصول الأصل الأول معرفة
وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك
من طرق الاعتبار ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله تعالى
بيان ٥ وقد قال تعالى ألم نجعل الأرض مهادا والجبال
أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا
الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم
سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من
المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا
وقال تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف

الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها
وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب
المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون
وقال تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا والله أنبتكم من الأرض نباتا ثم يعيدكم
فيها ويخرجكم إخراجا وقال تعالى أفرأيتم
ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون إلى قوله تعالى
نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فليس يخفى
على من معه أدنى مسكة إذا تأمل بأدنى فكرة
مضمون هذه الآيات وأدار نظره في عجائب خلق الله

في الأرض والسموات ورابع فطرة الحيوان
والنبات أن هذا الأمر العجيب والترتيب المحكم
لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره
بل كاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت
تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال
تعالى أفي الله شك فاطر السموات والأرض
ولهذا بعث الأنبياء صلوات الله عليهم كلهم لدعوة الخلق
إلى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن
يقولوا لنا إله وللعالم إله فإن ذلك كان مجبولة في فطرة
عقولهم من مبدأ نشوئهم وفي عنفوان شبيبتهم ولذلك
قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض
ليقولن الله وقال تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة

معرفة

الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم فإذا في فطرة الإنسان وشواهد القرآن
ما يغني عن إقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار
والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بداية العقول
أن الحادث لا يستغني في حدوثه عن سبب يحدثه
والعالم حادث فإذا لا يستغني في حدوثه عن سبب
أما قولنا الحادث لا يستغني عن سبب فجلي فإن كل
حادث فهو مختص بوقت يجوز في العقل تقديمه
وتأخيره عن ذلك فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما
بعده يفتقر بالضرورة إلى المخصص وأما قولنا العالم
حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة
والسكون وهما محدثان بالبديهة والاضطرار

[illegible] فهي حادثة تقدير [illegible]
[illegible] الحركة والسكون [illegible] الأجسام

فلا يحتاج فيه الى التأمل والافتكار فان من عقل جسمًا
لا ساكنًا ولا متحركًا كان لسان الجهل راكبًا وعن نهج
العقل ناكبًا والثانية قولنا انهما حادثان ويدل على
ذلك تعاقبهما ووجود البعض منهما بعد البعض
وذلك مشاهد في جميع الاجسام وما لم يشاهد فما من ساكن
الا والعقل يقضي بجواز حركته وما من متحرك
الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارئ منها
حادث لطريانه والسابق حادث لانه لو ثبت قدمه
لاستحال عدمه على ما سيأتي بيانه وبرهانه في اثبات
بقاء الصانع تعالى وتقدست اسماؤه والثالثة قولنا ما لا يخلو
من الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك
لكان قبل كل حادث حوادث لا اول لها وما لم تنقض ما لا

الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث
الحاضر في الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه
لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا تخلو اعدادها
من ان تكون شفعًا او وترًا او شفعًا ووترًا جميعًا
او لا شفعًا ولا وترًا ومحال ان يكون شفعًا ووترًا جميعًا
او لا شفعًا ولا وترًا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات
اذ في اثبات احدهما نفي الاخر وفي نفي احدهما اثبات
الاخر ومحال ان يكون شفعًا لان الشفع يصير
وترًا بزيادة واحد فكيف يعوز ما لا نهاية له واحد
ومحال ان يكون وترًا لان الوتر يصير شفعًا بواحد
وكيف يعوزها واحد مع انها لا نهاية لها فيحصل
من هذا ان العالم لا يخلو عن الحوادث فهو اذًا حادث

واذا استند وجوده كان او مادة الى المحدث من المدركات
بالضرورة **الأصل الثاني** العلم بان الباري تعالى
قديم لم يزل أزليا ليس لوجوده اول هو الاول والآخر بل و
وهو اول كل شيء وقبل كل ميت وحي وبرهانه انه لو كان
حادثا او لم يكن قبلها لافتقر هو ايضا الى محدث وافتقر
محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى غير نهاية وما يتسلسل
لم يتحصل او ينتهي الى محدث قديم هو الاول وذلك هو المطلوب
الذي سميناه صانع العالم وبارئه ومحدثه ومبدئه
الأصل الثالث العلم بانه مع كونه ازليا ابديا
ليس لوجوده آخر فهو الاول والآخر والباطن والظاهر
لان ما ثبت قدمه استحال عدمه وبرهانه انه لو انعدم
لكان لا يخلو اما ان ينعدم بنفسه او بمعدم يضاده ولو جاز

ان ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز ان يوجد شيء
بنفسه فكما احتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك
احتاج طريان العدم الى سبب وباطل ان ينعدم بمعدم يضاده
لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه
وقد ظهر بالأصلين جميعا السابقين وجوده وقدمه فكيف
كان وجوده في القدم ومعه ضده وان كان الضد المعدم
حادثا كان محالا اذ ليس الحادث في مضادته للقديم حتى يقطع بل القديم
وجوده باولى من القديم اولى من الحادث **الأصل الرابع**
العلم بانه ليس بجوهر متحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز
وبرهانه ان كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو
من ان يكون ساكنا فيه او متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة
والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث

ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يؤدي الى قدم جواهر
العالم فان سماه مسمٍ جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا
من حيث اللفظ لا من حيث المعنى

الاصل الخامس

العلم بانه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر اذ الجسم عبارة
عن المتألف من الجواهر واذا بطل كونه جوهرا مخصوصا
بحيز بطل كونه جسما لان كل جسم مختص بحيز
ومركب من جوهرين ويستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع
والحركات والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات
الحدث ولو جاز ان يعتقد ان صانع العالم جسم لجاز ان
يعتقد الالهية للشمس والقمر او لشيء آخر من اقسام الاجسام
فان تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير ارادة التأليف
من الجواهر كان ذلك خطأ من جهة اللفظ وغلطا في

الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم

الاصل السادس

العلم بانه تعالى ليس بعرض قائم بجسم او في محل لان العرض
ما يحل في الجسم وكل جسم فهو حادث ويكون محدثه
موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا
في الازل وحده وما معه غيره ثم احدث الاجسام والاعراض
بعده ولانه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه
وهذه الاوصاف تستحيل على الاعراض بل لا تعقل الا لموجود
قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الاصول
انه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض
وان العالم كله جواهر واعراض واجسام فاذا لا يشبه شيئا
ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وانى
يشبه المخلوق خالقه والمقدر مقدره والمصور مصوره والاجسام

والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها
بمشاكلته ومشابهته

الأصل السابع

العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات هو
الذي خلقها وأوجدها بواسطة خلق الإنسان إذ خلق
له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً والآخر يقابله
ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم
السفل لما يلي جهة الرجل حتى أن النملة التي تدب
منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها
تحتاً وإن كان في حقنا فوقاً وخلق للإنسان اليدين
وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم اليمين
للأقوى والشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين
يميناً والأخرى شمالاً وخلق له جانبين يبصر من أحدهما

ويتحرك إليه فحدث له اسم القدام للجهة التي يتقدم
إليها بالحركة واسم الخلف لما يقابله فالجهات حادثة
بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة
بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات
وجود ألبتة فكيف يكون في الأزل مختصاً بجهة والجهة
حادثة أو كيف صار بجهة بعد أن لم يكن بأن خلق
العالم تحته وتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى أن
يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل
ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه
بجهة أنه مختص بالحيز اختصاص الجوهر أو مختص بالجوهر
اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً
فاستحال كونه مختصاً بالجهة وإن أريد بالجهة غير هذين

المغيبين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى
لأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل
محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر
وكل ذلك تقدير فيحوج إلى مقدر وتعالى عنه الواحد
المدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال إلى جهة السماء فهو
لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة إلى ما هو للمدعو من
الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة
المجد والعلاء فإنه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء

الأصل الثامن العلم بأنه تعالى مستو على
عرشه بالمعنى الذي أراده تعالى بالاستواء وهو الذي
لا ينافي وصف الكبرياء والجلال ولا يتطرق إليه سمات
الحدوث والفناء وهو الذي أراد بالاستواء إلى السماء حيث

قال تعالى في القرآن ثم استوى إلى السماء وهي دخان وليس
ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر
قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق
واضطر أهل الحق إلى هذا التأويل ما اضطر أهل الباطل إلى
تأويل قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم إذ حمل بالاتفاق
على الإحاطة والعلم وحمل قوله صلى الله عليه وسلم قلب
المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل
قوله صلى الله عليه وسلم الحجر الأسود يمين الله في الأرض على
التشريف والإكرام لأنه لو ترك على ظاهره للزم منه
المحال فكذلك الاستواء لو ترك على ظاهره للزم منه
المحال لأنه إذا حمل على التمكن لزم منه كون المتمكن
جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك

مُحالٌ وما يُؤدّي إلى المُحالِ فهو مُحالٌ **الأصلُ التاسع**

العِلمُ بأنّه تبارك وتعالى مع كونِه منزّهاً عن الصورةِ

والأقطارِ مقدّساً عن الجهاتِ والأقطارِ مرئيٌّ بالأعيُنِ

والأبصارِ في الدارِ الآخرةِ لقولِه تعالى وُجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ

إلى ربِّها ناظرةٌ ولا يُرى في الدنيا تصديقاً لقولِه تعالى لا تُدرِكُه

الأبصارُ وهو يُدرِكُ الأبصارَ ٥ ولقولِه تعالى في خطابِ

موسى لن تراني وليتَ شِعري كيف عرفَ المعتزليُّ من صفةِ

ربِّ العالمين ما جهِلَه موسى صلواتُ اللهِ عليه وسلامُه ٥

أم كيف سألَ موسى الرؤيةَ مع كونِها مُحالاً ولعلَّ

الجهلَ بذوي البِدَعِ والأهواءِ من الجهلةِ الأغبياءِ أولى بالجهلِ

من الأنبياءِ وأمّا وجهُ إجازتِنا آيةَ الرؤيةِ على الظاهرِ أنّه

غيرُ مؤدٍّ إلى مُحالٍ فإنّ الرؤيةَ نوعُ كشفٍ وعلمٍ إلّا أنّه أتمُّ

وأوضحُ من العلمِ فإذا جازَ تعلُّقُ العلمِ به وليس في جهةٍ

جازَ تعلُّقُ الرؤيةِ ولمّا جازَ أن يرى اللهُ تعالى الخلقَ وليس في

مقابلتِهم جازَ أن يراه الخلقُ من غيرِ مقابلةٍ وكما جازَ أن يُعلَمَ

من غيرِ كيفيّةٍ وصورةٍ جازَ أن يُرى كذلك من غيرِ

كيفيّةٍ وصورةٍ **الأصلُ العاشر** العلمُ

بأنّ اللهَ واحدٌ لا شريكَ له فردٌ لا ندَّ له انفردَ بالخلقِ والإبداعِ

واستبدَّ بالإيجادِ والاختراعِ لا مِثلَ له يُضاهيه ويُساويه

ولا ضِدَّ له فيُنازعَه ويُناويه ٥ وبرهانُه قولُه تعالى لو كانَ

فيهما آلهةٌ إلّا اللهُ لفسدتا ٥ وبيانُه أنّه لو كانا اثنين وأرادَ

أحدُهما أمراً فالثاني إن كانَ مضطرّاً إلى مساعدتِه كانَ هذا

الثاني مقهوراً عاجزاً فلم يكن إلهاً قادراً وإن كانَ قادراً

على مخالفتِه ومدافعتِه كانَ الثاني قويّاً قاهراً والأوّلُ ضعيفاً

فلم يكن إلها قادرا **الركن الثاني** العلم
بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول **الأصل الأول**
العلم بأن صانع العالم قادر وأنه تعالى في قوله وهو على كل
شيء قدير صادق لأن العالم محكم في صنعته مرتب في
خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب
التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه من ميت لا استطاعة
له أو إنسان لا قدرة له كان منخلعا من غريزة العقل
ومنخرطا في سلك أهل الغباوة والجهل **الأصل الثاني**
العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل
المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في
السماوات صادق في قوله تعالى وهو بكل شيء عليم ومرشد
إلى صدقه بقوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف

والتوصيف
الخبير أرشدك إلى الاستدلال بالخلق على العلم لأنك لا
تستريب في دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب
ولو في الشيء الحقير اللطيف على علم الصانع بكيفية الترتيب
الضعيف والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى في الهداية
والتعريف **الأصل الثالث** العلم بكونه عز
وجل حيا فإن من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته
ولو تصور قادر عالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا
لجاز أن يشك في حياة الحيوانات عند ترددها في الحركات
والسكنات بل في حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك
انغماس في غمرة الجهالات **الأصل الرابع**
العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا مستند
إلى مشيئته وصادر عن إرادته فهو المبدي المعيد والفعال

لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر
منه امكن ان يصدر منه ضده وما لا ضد له امكن
ان يصدر منه ذلك بعينه قبله او بعده والقدرة تناسب
الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من ارادة صارفة
للقدرة الى احد المقدورين ولو اغنى العلم عن الارادة في تخصيص
المعلوم حتى يقال انما وجد في الوقت الذي سبق العلم
بوجوده لجاز ان يغني عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة
لانه سبق العلم بوجوده **الاصل الخامس**
العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رويته
هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكر ولا يشذ
عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء في الليلة الظلما
على الصخرة الصما وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع

والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق
أكمل من الخالق والمشروف والمصنوع اشرف واتم
من الشريف والصانع وكيف تعتدل القسمة مهما
وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته أو كيف
تستقيم حجة ابرهيم صلوات الله عليه وسلامه على ابيه
اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال له لم تعبد ما لا
يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا ولو انقلب عليه ذلك
في معبوده لاضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق
قوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه وكما
عقل كونه تعالى فاعلا بلا جارحة عالما بلا قلب ولا دماغ
فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا اذن اذ لا فرق
بينهما **الأصل السادس** العلم بانه تعالى متكلم

بكلام هو وصف قايم بذاته ليس بصوت ولا حرف
بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده
وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات
قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات
والاشارات وكيف التبس هذا على طايفة من الاغبيا
ولم يلتبس على جهلة الشعرا حيث قال قايلهم
ان الكلام لفي الفواد وانما جعل اللسان على الفواد دليلا
ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن ان يقول لساني حادث
لكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن
عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم
ان القديم عبارة عما ليس قبله شي وان الباء قبل السين في قولك
بسم الله فلا يكون السين المتاخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات

اليه قلبك فلله سبحانه سر في ابعاد بعض العباد ومن
يضلل الله فما له من هاد ومن استبعد ان يسمع موسى
في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر ان يرى في الاخرة
موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل ان يرى ما ليس
بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الان لم ير غيره
فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان
عقل ان يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات
والمعدومات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام
بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع
وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظا
في مقدار ذرة من القلب ومريا في مقدار عدسة من الحدقة
من غير ان تحل ذات السموات والارض والنار والجنة في

في الحدقة والورق فليعقل كون الكلام مقروءا
بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من
غير حلول ذات الكلام فيها إذ لو حل ذات الله بكتبة
اسمه في الورق لحل ذات النار بكتبة اسمها في الورق
ولاحترق **الأصل السابع** في العلم بأن
كلامه القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته
إذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير
بل يجب للصفات من نعوت الذات ما يجب للذات فلا
يعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه
موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في أبده كذلك
منزها عن تغير الحالات لأن محل الحوادث لا يخلو عنها
وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وإنما ثبت نعت الحدث

للأجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف
يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على
هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وإنما الحادث هي الأصوات
الدالة عليه وكما عقل قيام طلب العلم وإرادته وقيامه
بذات الوالد قبل أن يخلق ولده حتى إذا خلق ولده وعقل
وخلق الله علما بما في قلب أبيه من الطلب فصار مأمورا بذلك
الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده إلى وقت معرفته
فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل
اخلع نعليك بذات الله تعالى ومصير موسى عليه السلام
مخاطبا به بعد وجوده إذ خلقت له معرفة بذلك الطلب
وسمع لذلك الكلام القديم **الأصل الثامن**
أن علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته

ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة
له بالعلم الأزلي إذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع
الشمس ودام ذلك العلم لكان قدوم زيد عند الطلوع
معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر وهكذا ينبغي
أن تفهم قدم علم الله تعالى **الأصل التاسع** أن
إرادته قديمة وهي في القدم تعلقت بإحداث الحوادث في
أوقاتها اللائقة على وفق سبق العلم الأزلي إذ لو كانت حادثة
لصار محلا للحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا
لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك
وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها إلى إرادة أخرى وكذي
الإرادة الأخرى تفتقر إلى أخرى ويتسلسل الأمر إلى غير
نهاية ولو جاز أن تحدث إرادة بغير إرادة لجاز أن يحدث

العالم بغير إرادة **الأصل العاشر** أن الله تعالى
عالم بعلم حي بحياة قادر بقدرة ومريد بإرادة ومتكلم
بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وله هذه الأوصاف
من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله
في حقنا غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فإن
العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل
وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل
بلا قاتل ولا قتل بلا قاتل فكذلك لا يتصور عالم بلا علم
وعلم بلا معلوم ومعلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة
في العقل لا ينفك بعضها عن البعض فمن جوز انفكاك
العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم
عن العالم إذ لا فرق بين هذه الأوصاف

الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى
ومداره على عشرة أصول الأصل الأول العلم بأن
كل حادث في العالم فهو فعله واختراعه لا خالق سواه وخلقه
ولا محدث إلا إياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم
وحركتهم فجميع أفعال العباد مخلوقة له ومتعلقة بقدرته
تصديقا له في قوله تعالى الله خالق كل شيء وفي قوله تعالى والله
خلقكم وما تعملون وفي قوله تعالى وأسروا قولكم أو اجهروا
به إنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير أمر العباد بالتحرز في أقوالهم وأسرارهم وإضمارهم لعلمه وأفعالهم
بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون
خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة
بحركات أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها

لذاتها فما الذي يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون بعض مع
تماثلها وكيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر عن
العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصنع
ما يتحير فيه عقول ذوي الألباب وكيف انفردت هي باختراعها
دون رب الأرباب جل جلاله وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من
الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد
بالملك والملكوت جبار الأرض والسماوات

الأصل الثاني أن انفراد الله سبحانه وتعالى باختراع حركات
العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب
بل الله خالق القدرة والمقدور جميعا وخالق الاختيار
والمختار جميعا فأما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب
تعالى وليست بكسب له وأما الحركة فخلق للرب ووصف
للعبد وكسب له فإنها خلقت

مقدورة بقدرة فهي صفة للعبد فكانت للحركة
نسبة الى صفة اخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة
كسبا وكيف يكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك
التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية او كيف
يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل اجزاء الحركات
المكتسبة واعدادها واذا ابطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد
في الاعتقاد وهو انها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا
وبقدرة العبد على وجه اخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب
وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور ان يكون بالاختراع
فقط اذ قدرة الله عز وجل في الازل كانت متعلقة
بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهي عند الاختراع
متعلقة به نوعا اخر من التعلق فيظهر ان تعلق القدرة

ليس مخصوصا بحصول المقدور بها

الاصل الثالث

ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه
مرادا لله تعالى فلا يجري في الملك والملكوت
طرفة عين ولا فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله عز
وجل وقدرته وبارادته ومشيته فمنه الخير والشر
والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر
والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك
والايمان لا راد لقضايه ولا معقب لحكمه يضل من يشا
ويهدي من يشا لا يسال عما يفعل وهم يسالون ويدل عليه
من النقل قول الامة قاطبة ما شا الله كان وما لم يشا
لم يكن وقوله تعالى ولو يشا الله لهدى الناس جميعا وقوله
تعالى ولو شينا لاتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة

والقبح والحسن

العقل أن المعاصي والجرائم إن كان الله يكرهها ولا يريدها
وإنما هي جارية على وفق إرادة إبليس لعنة الله مع أنه عدو
الله سبحانه فالجاري على وفق إرادة العدو أكثر من الجاري
على وفق إرادته فليت شعري كيف يستجيز المسلم أن يرد
ملك الجبار ذي الجلال والإكرام إلى رتبة لو ردت إليه
رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها إذ لو كان
ما يستتم لعدو الزعيم في القرية أكثر مما يستتم له لاستنكف
من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق
وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الخالق
وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول
الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة
لله تعالى صح أنها مرادة له فإن قيل فكيف ينهى عما يريد

ويامر بما لا يريد قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب
السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده
عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن أمر عبده
بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة
بمشهد من السلطان فهو يامره بما لا يريد امتثاله ولو لم
يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا
لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال

الأصل الرابع أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع
ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف
واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة
العباد وهو محال إذ هو الموجب والآمر والناهي
وكيف يتهدف لإيجاب أو يتعرض للزوم أو خطاب

بتعرف

والمراد بالواجب احد امرين اما الفعل الذي في تركه
ضرر اما آجل كما يقال يجب على العبد ان يطيع الله تعالى
ويعبده او ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان
ان يشرب الماء حتى لا يموت واما ان يراد به الذي يؤدي عدمه
الى محال كما يقال المعلوم واجب اذ عدمه يؤدي الى محال
وهو ان يصير العلم جهلا فان اراد الخصم بان الخلق واجب
على الله تعالى على المعنى الاول فقد عرضه للضرر وان اراد
به المعنى الثاني فهو مسلم اذ بعد سبق العلم لا بد من وجود
المعلوم وان اراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله
يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فانه اذا لم يتضرر
بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى
ثم مصلحة العباد في ان يخلقهم في الجنة فاما ان يخلقهم

في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يرديهم لخطر العقاب
وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الالباب
الاصل الخامس انه يجوز على الله سبحانه وتعالى
ان يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز
ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولان الله تعالى اخبر نبيه
عليه السلام بان ابا جهل لا يصدقه ثم امره بان يصدقه في جميع
اقواله وكان من جملة اقواله انه لا يصدقه فكيف يصدقه في انه
لا يصدقه وهل هذا الا محال وجوده الاصل
السادس ان لله ايلام الخلق وتعذيبهم من غير
جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لانه
متصرف في ملكه ولا يتصور ان يعدو تصرفه في

ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير
بغير إذنه وهو محال على الله فإنه لا يصادف لغيره ملكاً
حتى يكون تصرفه فيه ظلماً ويدل على جواز ذلك وجوده
فإن ذبح البهائم إيلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب
من جهة الآدميين لم يتقدمه فيها جريمة فإن قيل إن الله
تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قدرها تقاسيه من الآلام
ويجب ذلك على الله فنقول من زعم أنه يجب على الله تعالى
إحياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على
آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف
الثواب والحشر بكونه واجباً عليه إن كان المراد به أنه
يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق
أنه غير مفهوم إذ خرج عن المعاني المذكورة في الواجب

الأصل السابع أنه تعالى يفعل بعباده ما
يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده كما ذكرناه
من أنه لا يجب عليه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب
فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وليت شعري بم يجيب
المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة نعرضها
عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي مات مسلماً
وبين بالغ مات مسلماً فإن الله سبحانه يزيد في درجات
البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات
بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي
يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لأنه بلغ واجتهد
في الطاعة فيقول الصبي أنت أمتني في الصبي فكان يجب أن تديم
حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه

بتطويل العمر دوني فلم فضلته فيقول الله تبارك وتعالى
لاني علمت انك لو بلغت لاشركت او عصيت فكان
الاصلح لك الموت في الصبي هذا عذر المعتزلي عن الله وعند
هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون اما علمت
اننا اذا بلغنا اشركنا فهلا امتنا في الصبي فانا رضينا
بما دون منزلة الصبي المسلم فبماذا يجيب المعتزلي عن ذلك
وهل يجب عند هذا الا القطع بان الامور الالهية
تعالى بحكم الجلال عن ان توزن بميزان اهل الاعتزال
فان قيل مهما قدر على رعاية الاصلح للعباد ثم سلط عليهم
اسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة
قلنا معنى القبيح ما لا يوافق الغرض حتى يكون الشي قبيحا
عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض احدهما دون الآخر



حتى يستقبح قتل الشخص اولياؤه ويستحسنه اعداؤه
فان اريد بالقبيح ما لا يوافق غرض الباري فهو محال
اذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم
اذ لا يمكنه التصرف في ملك الغير وان اريد بالقبيح
ما لا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال
وهل هذا الا مجرد التشهي يشهد بخلافه ما فرضناه
من مخاصمة اهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق
الاشياء والقادر على احكام فعلها على وفق ارادته وهذا
من اين يوجب رعاية الاصلح واما الحكيم منا يراعي الاصلح نظرا
لنفسه ليستفيد به في الدنيا ثناء وفي الآخرة ثوابا او يدفع عن
نفسه به ذما وكل ذلك على الله محال **الاصل**
الثامن ان معرفة الله وطاعته واجب بايجاب الله

وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل ان اوجب
الطاعة فلا يخلو اما ان يوجبها لغير فايدة وهو محال
فان العقل لا يوجب العبث واما ان يوجبها لفايدة وغرض
وذلك لا يخلو اما ان ترجع الى المعبود وذلك محال
فانه يتقدس عن الاغراض والفوايد بل الكفر والايمان والطاعة
والعصيان في حقه تعالى سيان واما ان ترجع الى غرض
العبد وهو محال لانه لا غرض له في الحال بل يتعب به وينصرف
عن الشهوات بسببه وليس في المال الا الثواب او العقاب
ومن اين يعلم ان الله تعالى يثيب على المعرفة والطاعة ولا
يعاقب عليها مع ان الطاعة والمعصية في حقه يتساويان
اذ ليس له الى احدهما ميل ولا لاحدهما به اختصاص وانما
عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من اخذ هذا من المقايسة

بين الخالق والمخلوق وحيث يفرق المخلوق بين الشكر والكفران
لما له من الارتياح والاهتزاز والتلذذ باحدهما دون الاخر فان
قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة الا بالشرع والشرع لا يستقر
ما لم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل
ليس يوجب علي والشرع لا يثبت الا بالنظر ولست اقدم على النظر
ادى الى افحام الرسول قلنا هذا ايضا هي قول القايل للواقف
في موضع من المواضع ان وراك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن
المكان قتلك وان التفت وراك ونظرت عرفت صدقي
فيقول الواقف لا يثبت صدقك ما لم التفت وراي ولا التفت
وراي ولا انظر ما لم يثبت صدقك فدل هذا على حماقة
هذا القايل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادي المرشد
فكذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول وراكم الموت

وبعده السباع الضارية والنيران المحرقة وان لم تاخذوا منها
حذركم وتعرفوا صدقي بالالتفات الى صدق معجزتي
فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت واصر هلك
وتردى ولا ضرر علي ان هلك الناس كلهم اجمعون وانما
علي البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية
بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة
بامكان ما يقوله في المستقبل والطبع يستحث على الحذر
والفرار ومعنى كون الشيء واجبا ان في تركه ضررا
ومعنى كون الشرع موجبا انه معرف للضرر المتوقع فان
العقل لا يهدي الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات
فهذا معنى الشرع والعقل وتاثيرهما في تقرير الواجب
ولولا خوف العقاب على ترك ما امر به لم يكن الوجوب ثابتا

اذ لا معنى للواجب الا ما يرتبط بتركه ضرر في الآخرة

الاصل التاسع

انه ليس يستحيل بعثة الانبياء خلافا
للبراهمة حيث قالوا لا فائدة في بعثتهم اذ في العقل مندوحة
عنهم لان العقل لا يهدي الى الافعال المنجية في الآخرة كما
لا يهدي الى الادوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الانبياء
كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة

الاصل العاشر

ويعرف صدق النبي بالمعجزة
ان الله تعالى قد ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين
وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وايده
بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة كانشقاق القمر
وتسبيح الحصا وانطاق العجماء وما تفجر من بين اصابعه من الماء
ومن آياته الظاهرة التي تحدى بها مع كافة العرب القرآن فانه

مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدفوا لسبه وبهته وقتله
ولم يقدروا على معارضته بمثله إذ لم يكن في قدرة البشر
الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الأولين
مع كونه أميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في أمور
تحقق صدقه فيها في المستقبل كقوله تعالى لتدخلن المسجد
الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين وكقوله تعالى
الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون
ووجه دلالة المعجزة على صدق المرسل أن كل ما عجز
عنه البشر لم يكن إلا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا
بتحدي النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلة قوله صدقت وذلك
مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته أنه رسول
الملك إليهم فإنه مهما قال للملك إن كنت صادقا فقم

على سريرك ثلثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك
ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة
قوله صدقت

الركن الرابع

في السمعيات فتصديقه صلى الله عليه وسلم فيما أخبر
عنه ومداره على عشرة أصول

الأصل الأول

الحشر والنشور وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق
به واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الإعادة بعد
الإفناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الإنشاء قال الله
تعالى قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها
أول مرة فاستدل بالابتداء على الإعادة وقال تعالى
ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة والإعادة
ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الأول

الاصل الثاني سؤال منكر ونكير وقد وردت به
الأخبار فيجب التصديق به لانه ممكن اذ ليس يستدعي
الا اعادة الحياة الى جزء من الاجزاء الذي به فهم الخطاب
وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما نشاهد
من سكون اجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال فان
النائم ساكن بظاهره ومدرك من باطنه من الالام
واللذات ما يحس باثره عند التنبه وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده
ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من
علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم
يدركوه **الاصل الثالث** عذاب القبر وقد
ورد الشرع به قال تعالى النار يعرضون عليها غدوا

وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد
العذاب واشتهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن السلف الصالح رضي الله عنهم الاستعاذة من عذاب
القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من
التصديق به تفرق اجزاء الميت في بطون السباع وحواصل
الطيور فان المدرك لالم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة
يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها
الاصل الرابع الميزان قال الله تعالى ونضع
الموازين القسط ليوم القيامة وقال تعالى فمن ثقلت
موازينه ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الاعمال
وزنا بحسب درجات الاعمال عند الله فتصير مقادير اعمال
العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب

او الفضل في العفو وتضعيف الثواب

الاصل الخامس الصراط وهو جسر ممدود
على متن النار ادق من الشعر واحد من السيف قال الله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون وهذا
ممكن فيجب التصديق به فان القادر على ان يطير
الطير في الهوا قادر على ان يسير الانسان على الصراط

الاصل السادس ان الجنة والنار مخلوقتان
قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين فقوله
اعدت دليل على انها مخلوقة فيجب اجراوه على الظاهر اذ لا
استحالة فيه ولا يقال لا فايدة في خلقهما قبل يوم الجزاء
لان الله تعالى لا يسال عما يفعل وهم يسالون

الاصل السابع ان الامام الحق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان
ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه
وسلم على امام اصلا اذ لو كان لكان اولى بالظهور
من نصبه احاد الولاة والامرا على الجنود في البلاد ولم يخف
ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل
الينا فلم يكن ابو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة واما
تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم الى مخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرق الاجماع وذلك مما
لم يتجاسر على اختراعه الا الروافض واعتقاد اهل السنة
تزكية جميع الصحابة والثنا عليهم كما اثنى الله سبحانه
وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما جرى بين معوية وعلي

كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في
الامامة اذ ظن علي ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة
عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي الى اضطراب
امر الامامة في بدايتها فرأى التأخير اصوب وظن معاوية
ان تاخير امرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالايمة ويعرض
الدماء للسفك وقد قال افاضل العلماء كل مجتهد مصيب
وقال قايلون المصيب واحد ولم يذهب الى تخطية علي ذو
تحصيل اصلا **الاصل الثامن** ان فضل الصحابة
على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل
ما هو فضل عند الله تعالى وذلك لا يطلع عليه الا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد ورد في الثناء عليهم اجمعين
اخبار وايات كثيرة وانما يدرك دقايق الفضل والترتيب فيه المشاهدون

للوحي والتنزيل بقراين الاحوال فلولا فهمهم ذلك لما
رتبوا الامر كذلك اذ كانوا لا ياخذهم في الله لومة لايم
ولا يصرفهم عن الحق صارف **الاصل التاسع**
ان شرايط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة
والورع والعلم والكفاية ونسب قريش لقوله صلى الله عليه
وسلم الايمة من قريش فاذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه
الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من اكثر الخلق
والمخالف للاكثر باغ يجب رده الى الانقياد **الاصل
العاشر** انه لو تعذر وجود الورع والعلم
فيمن تصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق
حكمنا بانعقاد امامته لانا لا نامن ان تحرك فتنة
بالاستبدال فما يلقى المسلمون من الضرر يزيد على ما يفوتهم

من نقصان هذه الشروط التي اشترطت لمزيد المصلحة فلا يهدم
أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم
مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية
وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء اهل البغي في بلادهم
لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة
والضرورة فهذه الاركان الاربعة الحاوية للاصول
الاربعين هي قواعد العقايد فمن اعتقدها كان موافقا
لاهل السنة ومباينا لرهط اهل البدعة والله تعالى
يسددنا بتوفيقه ويهدينا الى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده

الفصل الرابع من قواعد العقايد

في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال
وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف

فيه وفيه ثلاث مسائل **مسألة** اختلفوا في
أن الاسلام هو الايمان أو غيره وإن كان غيره فهو منفصل
يوجد دونه أو هو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء
واحد وقيل انهما شيئان لا يتواصلان وقيل انهما شيئان
ولكن يرتبط أحدهما بالآخر وقد اورد ابو طالب المكي
في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم
على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل
له فنقول في هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين
في اللغة وبحث على المراد بهما في إطلاق الشرع وبحث
عن حكمهما في الدنيا والآخرة فالبحث الأول لغوي والثاني
تفسيري والثالث فقهي شرعي البحث الاول في
موجب اللغة والحق فيه أن الايمان عبارة عن التصديق

قال الله تعالى وما انت بمؤمن لنا اي مصدق والاسلام
عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك
التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب
واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان
والجوارح فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك للاباء
والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة
والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام اعم والايمان
اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا
كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا البحث
الثاني عن اطلاق الشرع فقد ورد باستعمالهما على
سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف
وورد على سبيل التداخل اما الترادف ففي قوله تعالى

فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير
بيت من المسلمين ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال
تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم
مسلمين وقال النبي صلى الله عليه وسلم بني الاسلام
على خمس وسئل مرة عن الايمان فاجاب بهذه الخمس واما
الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد
بالايمان هاهنا التصديق بالقلب فقط وبالاسلام الاستسلام
ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبريل لما سأله عن
الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره
فقال ما الاسلام فذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام

عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي حديث سعد
أنه صلى الله عليه وسلم أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر
فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه
وهو مؤمن فقال أو مسلم فأعاد عليه فأعاده رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروي أيضا أنه سئل صلى الله عليه
وسلم فقيل له أي الأعمال أفضل فقال أي الإسلام
أفضل فقال الإيمان وهو دليل على الاختلاف والتداخل
وهو أوفق الاستعمالات للغة لأن الإسلام عمل
من الأعمال وهو أفضلها والإسلام هو تسليم إما في
القلب وإما في اللسان وإما في الجوارح وأفضلها الذي بالقلب
وهو التصديق الذي يسمى إيمانا والاستعمال لهما على
سبيل الاختلاف وعلى سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف

كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف
فهو أن يجعل الإيمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق
اللغة والإسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق
اللغة فإن التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم
فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن
أن يوجد المعنى فيه فإن من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا
وإن لم يستغرق جميع بدنه فإطلاق اسم الإسلام على التسليم
الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه
جرى قوله تعالى قالت الأعراب آمنا وقوله في حديث سعد
أو مسلم لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف
تفاضل المسميين وأما التداخل فموافق أيضا للغة وهو أن
يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل

جميعا فالإيمان عبارة عن بعض ما دخل في الإسلام وهو القلب
وهو الذي عنيناه بالتداخل وهذا موافق للغة في خصوص
الإيمان وعموم الإسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الإيمان
في جواب قول السائل أي الإسلام أفضل لأنه جعل الإيمان
خصوصا من الإسلام فأدخله فيه وأما استعماله على سبيل
الترادف بأن يجعل الإسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر
جميعا فإن كل ذلك تسليم وكذى الإيمان ويكون التصرف
في الإيمان على الخصوص بتعميمه وإدخال الظاهر في معناه
وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق
الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره
على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم
الإسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله

تعالى فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين البحث
الثالث عن الحكم الشرعي والإسلام والإيمان حكمان
أخروي ودنياوي أما الأخروي فهو الإخراج من النار ومنع
التخليد إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من
كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وقد اختلفوا في أن
هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بأن الإيمان ماذا
فمن قائل يقول إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب
وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالأركان
ونحن نكشف الغطاء عنه فنقول من جمع بين هذه الثلاث
فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة
الدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث
وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة

أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة تخرج بهذا عن الإيمان
ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو على منزلة بين
منزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره
الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة
باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه
فقال أبو طالب المكي رحمه الله العمل من الإيمان ولا يتم
دونه وادعى الإجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه
كقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات إذ هذا يدل
على أن العمل وراء الإيمان لا من نفس الإيمان وإلا فيكون
العمل في حكم المعاد والعجب أنه ادعى الإجماع
في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله صلى الله عليه وسلم لا يكفر
أحد إلا بجحوده لما أقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد

في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة
إذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل
هو في الجنة فلا بد وأن يقال نعم وفيه حكم بوجود الإيمان
دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت
صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنا ثم مات فهل يخلد في النار
فإن قال نعم فهو مراد المعتزلة وإن قال لا فهو تصريح
بأن العمل ليس ركنا من نفس الإيمان ولا شرطا في وجوده
ولا في استحقاق الجنة به وإن قال أردت به أن يعيش مدة
طويلة ولا يصلي ولا يقدم على شيء من الأعمال الشرعية فما ضبط
تلك المدة وما عدد الطاعات التي يبطل بتركها الإيمان وما عدد
الكبائر التي بارتكابها يبطل الإيمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره
ولم يصر إليه صائر أصلا **الدرجة الرابعة** أن يوجد

التصديق بالقلب فقبل ان ينطق باللسان او يشتغل بالاعمال
مات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله وهذا مما اختلف فيه
ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو
فاسد اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه
مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم
يشترط في حديث جبريل للايمان الا التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله
واليوم الاخر كما سبق الدرجة الخامسة ان يصدق
بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمة الشهادة وعلم
وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه عن النطق
كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان
هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد وان يكون الايمان
موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الاظهر

اذ لا مستند الا اتباع موجب الالفاظ ووضع اللسان
ان الايمان عبارة عن التصديق بالقلب وقد قال يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب
بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت
عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن
اذ ليس كلمة الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء
عقد وابتداء شهادة والتزام والاول اظهر وقد غلا
في هذا طائفة من المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار اصلا
وقالوا ان المؤمن ولو عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم
الدرجة السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله
محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه ولا نشك
في ان هذا في حكم الاخرة من الكفار وانه مخلد في النار

ولا شك أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة
من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به
أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه بقلبه وإنما يشك
في أمر ثالث وهو الحكم الدنياوي فيما بينه وبين الله وذلك
بأن يموت له في هذه الحالة قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك
بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة
الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله
تعالى أو نكح مسلمة ثم صدق فهل يلزمه إعادة النكاح
هذا في محل النظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة
بالقول الظاهر ظاهرا أو باطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر
في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له
في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله أنه

لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه إعادة النكاح
ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت
من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر
إذا لم يحضر حذيفة والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وإن
كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضا من جملة ما
يجب لله كالصلاة وليس هذا مناقضا لقولنا أن الإرث
حكم الإسلام وهو استسلام بل الاستسلام التام
ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية
تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا
ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من
حيث جرت العادة بإيراده في الكلام الذي يطلب فيه القطع
فما أفلح من نظر إلى العادات والمراسم في العلوم فإن

قلت فما شبهة المعتزلة والمرجية وما حجة بطلان
قولهم فاعلم أنه اشتبهتهم عمومات القرآن أما المرجية قالوا لا
يدخل المؤمن النار وإن أتى بكل المعاصي لقوله تعالى
فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا ولقوله تعالى
والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ولقوله تعالى
كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها إلى قوله تعالى فكذبنا وقلنا
ما نزل الله فقوله تعالى كلما ألقي عام فينبغي أن يكون كل من ألقي
مكذبا ولقوله تعالى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب
وتولى وهذا حصر وإثبات ونفي ولقوله تعالى من جاء بالحسنة
فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون والإيمان رأس
الحسنات ولقوله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى
إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا ولا حجة لهم في ذلك

فإنه حيث ذكر الإيمان بهذه الآيات أريد به الإيمان
مع العمل إذ بينا أن الإيمان قد يطلق ويراد به الإسلام
وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل
أخبار كثيرة في معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله
صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة
من الإيمان فكيف يخرج إذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى
إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن
يشاء فالاستثناء بالمشية يدل على الانقسام وقوله تعالى ومن
يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم وتخصيصه بالكفر تحكم
وقوله تعالى ألا إن الظالمين في عذاب مقيم وقوله تعالى ومن
جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار فهذه العمومات
في معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل

على الجانبين لان الاخبار مصرحة بان العصاة يعذبون بل
قوله تعالى وان منكم الا واردها كالصريح في ان ذلك لابد
منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله
تعالى لا يصلاها الا الاشقى اراد به من جملة مخصوصين
اذ اراد بالاشقى شخصا معينا ايضا وقوله تعالى كلما القي فيها
فوج اي فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب وعن هذه
الاية وقع الاشعري وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان
هذه الالفاظ يتوقف فيها الى ان ترد قرينة تدل على معناها
واما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي
خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله تعالى وان
منكم الا واردها ثم قال ثم ننجي الذين اتقوا وقوله تعالى ومن

يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وكل اية ذكر العمل الصالح
فقرن بها الايمان وقوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا
فجزاؤه جهنم وهذه العمومات ايضا مخصوصة بدليل
قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فينبغي ان يبقى
له مشية في مغفرة ما سوى الشرك وكذلك قوله صلى الله
عليه وسلم يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان
وقوله تعالى ان الله لا يضيع اجر المحسنين فكيف يضيع
اصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله
تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا اي لايمانه وقد ورد على
مثل هذا السبب فان قلت فقد مال الاختيار الى ان الايمان
حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد
قول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان يعد العمل من

الايمان لانه مكمل له ومتمم كما يقال الراس واليد من
الانسان ومعلوم انه لا يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس
ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات
والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها
فالتصديق بالقلب من الايمان كالقلب من وجود الانسان
اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف وبعضها
اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن والصحابة ما اعتقدوا مذهب المعتزلة
في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا
ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا
ليس بانسان اي ليس له الكمال الذي هو وراء حقيقة الانسانية
مسئلة فان قلت فقد اتفق السلف على ان

الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا
كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ونقصان
فاقول السلف هم الشهود العدول وما لاحد عن قولهم عدول
فما ذكروه حق وانما الشان في فهمه وفيه دليل على
ان العمل ليس من اجزاء الايمان وان كان وجوده له
بل هو مزيد عليه يزيد به والزايد موجود والناقص
موجود والشي لا يزيد بذاته فلا يجوز ان يقال الانسان
يزيد راسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز ان يقال
الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالاداب والسنن
فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله
بالزيادة والنقصان فان قلت فالاشكال قائم في ان
التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة فاقول

اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب
وكشفنا الغطا ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك
يطلق من ثلثة اوجه الاول انه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل
الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان
العوام بل الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة
على القلب تارة تشتد وتقوى وتارة تضعف وتسترخي كالعقدة
على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبر باليهودي في صلابته
في عقيدته التى لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا تخيل
ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذى النصارى والمبتدعة
ومنهم من يمكن تشكيكه بادنى كلام ويمكن استنزاله
عن اعتقاده بادنى استمالة او تخويف مع انه غير شاك في عقده
كالاول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في

الاعتقاد الحق ايضا والعمل يوثر في نما هذا التصميم
وزيادته كما يوثر سقي الما في نما الاشجار ولذلك قال
تعالى فزادهم ايمانا وقال تعالى زادتهم ايمانا وقال تعالى
ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما
روي في بعض الاخبار الايمان يزيد وينقص وذلك بتاثير
الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من تامل احوال
نفسه في اوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب
مع اوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى العقايد
الايمان في هذه الاحوال حتى يزيد عقده استعصا على من
يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة
اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح راسه وتلطف به ادرك
من باطنه تاكد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك

معتقد التواضع اذا عمل بموجبه مقبلا او ساجدا لغيره
احس من قلبه التواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا
جميع صفات القلب تصدر منها اعمال الجوارح ثم يعود
اثر الاعمال عليها فيوكدها ويزيدها وسياتي هذا
في ربع المهلكات والمنجيات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر
والاعمال بالعقايد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق
الملك بالملكوت واعني بالملك عالم الشهادة المدرك
بالحواس واعني بالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة
والقلب من عالم الملكوت والاعضا واعمالها من عالم الملك
ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض
الناس اتحاد احدهما بالاخر وظن اخرون انه لا عالم الا عالم
الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن ادرك

الامرين وادرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال
رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر
فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر
ولنرجع الى المقصود فان هذا العلم خارج عن علم المعاملة
ولكن بين العلمين ايضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم ○
المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى ان يكف
عنها بالتكلف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا
الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو
لمعة بيضا فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى
يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سودا فاذا انتهك
الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع على قلبه
فذلك الختم وتلا كلا بل ران على قلوبهم الاية ○○○○

الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل جميعا
كما قال الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال لا يزني
الزاني وهو مومن حين يزني واذا ادخل العمل في مقتضى
لفظ الايمان لم يخف زيادته ونقصانه وهل يوثر ذلك في زيادة
الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الى انه
موثر فيه الاطلاق الثالث ان يراد به التصديق اليقيني
على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة
وهذا ابعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني اقول الامر
اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمانينة النفس اليه فليس
طمانينة النفس الى ان الاثنين اكثر من الواحد كطمانينتها
الى ان العالم مصنوع حادث وان كان لا شك في واحد
منهما بل اليقينيات تختلف في درجات الايضاح ودرجات

طمانينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا في فصل اليقين من
كتاب العلم في باب علامات علما الاخرة فلا حاجة الى
الاعادة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من
زيادة الايمان ونقصانه حق وكيف لا وفي الاخبار انه
يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان وفي بعض المواضع
في خبر اخر مثقال دينار فاي معنى لاختلاف مقاديره
ان كان ما في القلب لا يتفاوت مسئلة
فان قلت ما وجه قول السلف انا مومنون ان شا الله والاستثنا
شك والشك في الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون
عن جزم الجواب بالايمان ويحترزون منه فقال سفيان الثوري
رحمه الله من قال انا مومن عند الله فهو من الكذابين ومن
قال انا مومن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم

يقول انا مومن ان
شا الله على سبيل
الشك بل على سبيل
التواضع مع الله تعالى

انه مؤمن في نفسه ومن كان مؤمنا في نفسه كان مؤمنا
عند الله كما ان من كان طويلا او سخيا في نفسه وعلم
ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا او
حزينا او سميعا او بصيرا ولو قيل للانسان هل انت
حيوان لم يحسن ان يقول انا حيوان ان شاء الله ولما قال
سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما
انزل الينا واي فرق بين ان نقول آمنا وبين ان نقول انا مؤمن
وقيل للحسن رحمه الله أمؤمن انت فقال ان شاء الله
فقيل له تستثني يا ابا سعيد في الايمان فقال اخاف ان اقول
نعم فيقول الله كذبت يا حسن فتحق علي الكلمة وكان يقول
ما يؤمنني ان يكون الله سبحانه قد اطلع علي بعض ما يكره
فمقتني وقال اذهب لا اقبل لك عملا فانا اعمل في غير معمل

وقال ابرهيم رحمه الله اذا قيل لك أمؤمن انت فقل
لا اله الا الله وقال مرة قل انا لا اشك في الايمان وسؤالك
اياي بدعة وقيل لعلقمة رحمه الله أمؤمن انت فقال ارجو
ان شاء الله وقال الثوري رحمه الله نحن مؤمنون بالله وملائكته
ورسله وما ندري ما نحن عند الله فما معنى الاستثناء ٥٤٥
فالجواب ان هذا الاستثناء صحيح وله
اربعة اوجه وجهان مستندان الى الشك لا في اصل
الايمان ولكن في خاتمته او كماله ووجهان لا يستندان
الى الشك الوجه الاول الذي يستند لا الى الشك الاحتراز
من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى فلا
تزكوا انفسكم وقال تعالى الم تر الى الذين يزكون
انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون على الله الكذب وقيل

لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثنا المرء على نفسه والايمان
من اعلى صفات الحمد والجزم به تزكيه مطلقة وصيغة
الاستثنا كانها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان انت
طبيب او فقيه او مفسر فيقول نعم ان شا الله لا في معرض
التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة
صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف اللازم
من لوازم الخبر وهو التزكية وبهذا التاويل لو سيل عن وصف
ذم لم يحسن الاستثنا الوجه الثاني التادب بذكر الله تعالى
في كل حال واحالة الامور كلها الى مشية الله فقد ادب
الله سبحانه نبيه فقال ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا
الا ان يشا الله ثم لم يقتصر على ذلك فيما يشك فيه بل
قال لتدخلن المسجد الحرام ان شا الله امنين محلقين وكان الله

عالما بانه يدخل لا محالة وانه شاه ولكن المقصود تعليمه
ذلك فتادب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما كان
يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتى قال لما دخل المقابر
السلام عليكم اهل دار قوم مومنين وانا ان شا الله بكم لاحقون
واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الادب ذكر
الله وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صارت
بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني واذا
قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شا الله فيفهم
منك رغبتك لا تشككك واذا قيل فلان سيزول مرضه
ويصح فتقول ان شا الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدوله
عن معنى التشكك الى معنى الرغبة فكذلك العدول الى
معنى التادب بذكر الله كيف ما كان الامر ه ه ه

الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مومن حقا
ان شاء الله اذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين باعيانهم اوليك
هم المومنون حقا فانقسموا قسمين ويرجع هذا الى
الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك
في كمال ايمانه وذلك ليس بكفر والشك في كمال الايمان
حق من وجهين احدهما من حيث ان النفاق يزيل كمال الايمان
وهو خفي لا يتحقق البراة منه والثاني انه يكمل باعمال الطاعات
ولا يدري وجودها على الكمال اما العمل قال الله تعالى
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اوليك هم الصادقون فيكون
الشك في هذا الصدق وكذلك قال ولكن البر من امن
بالله واليوم الاخر فشرط عشرين وصفا كالوفا بالعهد

والصبر على الشدايد ثم قال تعالى اوليك الذين صدقوا وقد
قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات وقال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح
وقاتل الايه وقال تعالى هم درجات عند الله وقال صلى الله عليه
وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال الايمان
بضع وسبعون بابا ادناها اماطة الاذى عن الطريق
فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالاعمال واما ارتباطه
بالبراة عن النفاق والشرك الخفي فقوله صلى الله عليه وسلم
اربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم
انه مومن من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ايتمن
خان واذا خاصم فجر وفي بعض الروايات واذا عاهد غدر وفي
حديث ابي سعيد الخدري القلوب اربعة قلب اجرد وفيه

سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق
فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق
فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلب
عليه حكم له بها وفي لفظ اخر غلب عليه ذهب به وقال صلى الله
عليه وسلم اكثر منافقي هذه الامة قراؤها وفي حديث
الشرك اخفى في امتي من دبيب النملة على الصفا وقال حذيفه
رضي الله عنه كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى ان يموت واني لاسمعها
من احدكم اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء اقرب الناس من
النفاق من يرى انه بريء منه وقال حذيفه المنافقون اليوم
اكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اذ
ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق مضاد بصدق

الايمان وكماله وهو خفي وابعد الناس منه من يخوفه واقربهم
منه من يرى انه بريء منه فقد قيل للحسن البصري يقولون لا
نفاق اليوم فقال يا اخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في
الطرق وقال هو وغيره لو نبت للمنافقين اذناب ما قدرنا ان نطا
على الارض وسمع ابن عمر رضي الله عنه رجلا يعرض للحجاج
فقال ارايت لو كان حاضرا اكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد
هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعله
الله ذا لسانين في الاخرة وقال ان من شر الناس ذو الوجهين الذي
ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا
نخاف النفاق فقال والله لان اكون اعلم اني بريء من النفاق
احب الي من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق

لاختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج
وقال رجل لحذيفة رضي الله عنه اني اخاف ان اكون منافقا
فقال لو كنت منافقا ما خفت النفاق ان المنافق قد امن
النفاق وقال ابن ابي مليكة ادركت ثلثين ومايه وفي رواية
خمسين ومايه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخافون
النفاق وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
في جماعة من اصحابه فذكروا رجلا واكثروا الثنا عليه فبيناهم
كذلك اذ طلع الرجل عليهم ووجهه يقطر ما من اثر
الوضو قد علق نعله بيده وبين عينيه اثر السجود فقالوا يا رسول
الله هذا الرجل هو الذي وصفناه فقال صلى الله عليه وسلم
اري على وجهه سفعة من الشيطان فجا الرجل حتى سلم
وجلس مع القوم فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل

حدثتك نفسك حين اشرفت على القوم انه ليس فيهم خير
منك فقال اللهم نعم وقال صلى الله عليه وسلم في دعايه اللهم
اني استغفرك لما علمت ولما لم اعلم فقيل له اتخاف يا
رسول الله فقال وما يومنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن
يقلبها كيف يشا وقد قال سبحانه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون قيل عملوا اعمالا ظنوا انها حسنات فكانت
في كفة السيات وقال سري السقطي رضي الله عنه
لو ان رجلا دخل الى بستان فيه جميع الاشجار عليها من جميع
الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغته فقال السلام عليك يا
ولي الله فسكنت نفسه الى ذلك كان اسيرا في يديها فهذه
الاخبار والاثار تعرفك خطر الامر بسبب دقايق النفاق
والشرك الخفي وانه لا يومن منه حتى كان عمر رضي الله عنه

يسأل حذيفة عن نفسه وانه هل ذكر في المنافقين ٥ قال ابو سليمان
الداراني سمعت من بعض الامرا شيئا فاردت ان انكره
فخفت ان يامر بقتلي ولم اخف من الموت ولكن خشيت ان يعرض
لقلبي التزين للخلق عند خروج روحي فكففت وهذا من النفاق الذي
يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاه لا اصله
فالنفاق نفاقان احدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك في زمرة
المخلدين في النار والثاني يفضي الى النار الى مدة او ينقص من درجات عليين
ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن
الاستثنا واصل هذا النفاق تفاوت السر والعلانية والامن من
مكر الله والعجب وامور اخر لا يخلو عنها الا الصديقون ٥
الوجه الرابع وهو ايضا مستند الى الشك وذلك من
خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم له الايمان عند الموت ام لا فان ختم

له بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف على سلامة الاخر
ولو سيل الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال انا صايم
قطعا لو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة
موقوفة على التمام الى غروب الشمس الى اخر النهار وكما
ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الصحة
ووصفه بالصحة قبل اخره بنا على الاستصحاب وهو مشكوك
فيه والعاقبة مخوفة ولاجلها كان بكا اكثر الخايفين لاجل
انها ثمرة القضية السابقة والمشية الازلية التي لا تظهر
الا بظهور المقضي به ولا مطلع عليه لاحد من البشر
فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر في الحال ما سبقت
الكلمة بنقيضه فمن الذي يدري انه من الذين سبقت لهم من
الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى وجات سكرة الموت

بالحق اي بالمتابعة يعني اظهرتها وقال بعض السلف انما تورث
من الانعكاس خواتيمها وكان ابو الدرداء رضي الله عنه يحلف
بالله ما احد امن ان يسلب ايمانه الا سلبه وقال من الذنوب ذنوب
عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هي عقوبة
دعوى الولاية والكرامة بالافترا وقال بعض العارفين لو عرضت
علي الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة
لاخترت الموت على باب الحجرة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي من
التغير عن التوحيد الى باب الدار وقال بعضهم لو عرفت
واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات
لم احكم انه مات على التوحيد وفي الحديث من قال انا مومن
فهو كافر ومن قال انا عالم فهو جاهل وقيل في قوله
تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لمن مات على الايمان
صدقا وع



وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال الله تعالى والعاقبة
للتقوى فمهما كان الشرك بعد المتابعة كان الاستثنا
واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما ان الصوم عبارة عما
يبري الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبري الذمة فيخرج عن
كونه صوما فكذلك الايمان بل يستقبح ان يسال عن الصوم
الماضي الذي لم يشك فيه بعد الفراغ فيقال اصمت بالامس
فيقول نعم ان شا الله اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول
مغيب عنه لا يطلع عليه فمن هذا يحسن الاستثنا في جميع
اعمال البر ويكون ذلك شكا في القبول اذ يمنع من القبول بعد
جريان ظاهر شروط الصحة اسباب خفية لا يطلع عليها الا
الارباب فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثنا في
الايمان وهذا اخر ما قصدنا به كتاب قواعد [illegible]

٧٦ برگ

٦٥٢

آخر كتاب ———— قواعد العقايد

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبي الرحمة وآله

وصحبه الطاهرين وسلامه

[illegible]

[illegible]

